**3-الأسرة كمؤسسة اجتماعية**

كرس عدد من الباحثين والمختصين في العلوم خاصة المختصين في علم الاجتماع جزءا من بحوثهم إلى موضوع العائلة كونها من المنظمات التي تشكل قاعدة مهمة في بناء أي مجتمع من المجتمعات القديمة أو المعاصرة التقليدية أو المتقدمة وهي أصغر وحدة يتكون منها المجتمع وهي مسرح للتفاعل والاتصال الاجتماعي حيث يتلقى فيها الفرد تنشئته منذ ولادته إلى أن يصبح عضوا مستقلا يعتمد على نفسه ومن خلالها تخلق لهذا الفرد أدوار اجتماعية في المجتمع ،فالعائلة نمت وتطورت نتيجة لاستجابات ضرورية دون أن تفرض على أحد وعليه يمكن التأكيد أنها أقدم تنظيم من ناحية النشأة مقارنة بالتنظيمات أو المؤسسات الأخرى

تحديد مفهوم العائلة

اختلف الباحثون الذين تناولوا موضوع العائلة على تحديد مفهومها وذلك لتباين وجهات نظرهم في نشأة وأصل العائلة وتطور بيئة ووظائف هذا التنظيم الاجتماعي ومن التعاريف نجد ما يلي :

1-"علاقة جنسية بين رجل وامرأة وظيفتها الإنجاب والعناية بالأطفال "

2-"جماعة من الأشخاص مرتبطين بواسطة الزواج أو الدم أ التبني يعيشون في بيت واحد ويتفاعلون مع بعضهم البعض وفق أدوارهم الاجتماعية تسود بينهم ثقافة مشتركة وهذا نطلق عليه الأسرة في المجتمعات الصناعية الحديثة"

3-"ارتباط يدوم قليلا أو كثير بين الزوج والزوجة وقد يكون بأولاد أو بدونهم "

4-وحدة اجتماعية منظمة محكومة بواسطة التقاليد والقانون تتميز بوجود علاقات خاصة بين المشاركين والذين تتكون منه هذه الوحدة الاجتماعية كالرجل والمرأة والأطفال وإذا كانت العائلة كبيرة تمتد هذه العلاقات إلى الأقارب وعلى ضوء التعاريف السابقة نستخلص أن العائلة هي تنظيم تلقائي تؤدي اليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية التي تميل إلى الاجتماع وهي بمراسيمها وأوضاعها تمثل مؤسسة اجتماعية تنبعث من أوضاع الحياة والطبيعة التلقائية للنظم و الأوضاع الاجتماعية وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي

**أهمية العائلة للفرد والمجتمع :**

-تعتبر العائلة من أكثر المؤسسات الاجتماعية وضوحا في المجتمع من حيث أنها أقدم التشكيلات الاجتماعية في الحياة البشرية من حيث عموميتها ووجودها في مختلف المجتمعات هي موجودة في كل الأزمان وجميع المناطق الجغرافية التي عاش فيها الإنسان وهذا ما يعكس أهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع والتي تتمثل فيما يلي :

-هي المؤسسة المسؤولة عن عملية التكاثر والتوالد وتربية وتنشئة الأطفال قديما وحديثا ذلك أن هذا التنظيم الذي يعتبر جماعة أولية بالنسبة للأبناء هو المسؤول عن بلورة الأنماط السلوكية والاتجاهات والمواقف والقيم والعادات التقاليد للأفراد والجماعات بدرجة عالية من التأثير إذا ما قورنت ببقية المؤسسات الأخرى الموجودة في المجتمع والتي تساهم أيضا بنفس هذه الوظائف كالمدرسة والجماعات المحلية وبقية التنظيمات الأخرى

-تستطيع الأسرة من خلال العلاقات بين الزوج والزوجة من إشباع الحاجات الجنسية لذا نجد معظم المجتمعات القديمة والحديثة قد وضعت قواعد لتنظيم هذه العلاقات لأهميتها للأفراد وحاجة الإنسان إليها .

-العائلة توفر الحماية اللازمة لأبنائها وحفظ حقوق الميراث والملكية بالنسبة لأفرادها وتوفر الرعاية اللازمة للمرضى والمقعدين

-تساعد على نقل القيم الحضارية من جيل الى جيل

-العائلة هي المسئولة على بلورة شخصية وسلوك وتقاليد وقيم الأفراد وفق منظور الجماعة التي يعيش معها لأنها تمارس تأثيرا كبيرا على الفرد منذ ولادته فهي مركز تفاعل الأفراد والشخصيات وقد يبدأ الفرد بتعلم المواقف نحو العمل والدين والحركة أو كيفية استخدام الوسائل الأخرى داخل هذا التنظيم .

فقد يتعلم النشئ من الأبوين المشاعر والأحاسيس بل أن كل هاته الأمور وغيرها تبلور شخصية الفرد المتكاملة

-ترتبط العائلة بالمجتمع بمظاهر مختلفة فبقاء وديمومة واستمرار أي مجتمع من المجتمعات لا يتحقق الا من خلال حدوث تزاوج بين أفراده فاستمرار المجتمع لا يتحقق الا من خلال حدوث تزاوج ودخول أفراد في علاقات عائلية معينة .

-وظائف الأسرة :

1-دوام الوجود الاجتماعي أي العمل على استمرار والجماعة والمجتمع عن طريق مده بأفراد جدد بصورة يقرها المجتمع لكي يحلو محل إبائهم بالإضافة إلى ذلك تعمل على تغطية حاجة المجتمع إلى أفراد للانخراط في الحياة الإنتاجية التي تزداد بزيادة السكان

2-رعاية وتوجيه الصغار :يصل المولود البشري إلى الوجود في حالة من العجز التام ومن ثمة يبقى فترات طويلة قاصرا من الاعتماد على نفسه وتختلف المدة الزمنية للرعاية باختلاف درجة التحضر

-تنظيم وإشباع الدوافع الجنسية والأبوية :لعل الوظيفة الحيوية الرئيسة للأسرة هي إتاحة الفرصة المشروعة للزوجين للإشباع الجنسي من جهة وإنجاب الأطفال إنجاب شرعيا من جهة أخرى

-4اشباع دوافع الوجدان والعاطفة :فكل إنسان كان صغيرا أو كبيرا في السن يحتاج إلى إشباع مجموعة من الحاجات الفيزيلوجية الأمنية وتقدير الذات ...الخ

5-التنشئة الاجتماعية للفرد أي ترويض الطفل واستئناسه وتدريبه على كيفية التعامل مع الآخرين وتكوين علاقات طيبة معهم ومن ثمة يتكون لديه الشعور بالمسؤولية نحو الجماعة وعليه فهي تسخر كل جهودها وإمكانياتها من أجل تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة على ما اصطلح عليه المجتمع من نظم وعادات وتقاليد .

**الأسرة كموضوع للدراسة في علم الاجتماع :**

لقدر ركز علماء الاجتماع "على دراسة العائلة تركيزا كبيرا واهتموا بها في مجال بحوثهم النظرية والميدانية على حد سواء ...فلو القينا نظرة فاحصة على ابرز علماء الاجتماع وخاصة المنظرين مهم أمثال ماكس فيبر وباريتو واميل دوركايم نجد كتاباتهم لا تخلوا من الإشارة إلى العائلة حيث اعتبرها البعض منهم محور أساسي لتفسير ودراسة الكثير من وجوه ومظاهر المجتمع "[[1]](#footnote-2)هذه الأهمية جعلت الدراسات الاجتماعية المهتمة بالأسرة تنشط بصفة كبيرة في القرن التاسع عشر حيث شهدت هذه الفترة العديد من البحوث والكتابات ومن ابرز هؤلاء المفكرين العالم الألماني تونيس الذي قدم بحثين مهمين حول الأسرة معتمدا في ذلك على الدراسات الحقلية وبعد ذلك تبعه علماء اجتماع آخرين مثل بارسونز وديفز وهومانز "حيث وجه هؤلاء الباحثين جزءا من طاقتهم واهتماماتهم الى دراسة العائلة ومشاكلها كما ركزوا على تفسير البناء العائلي "[[2]](#footnote-3) .

لقد كان لتزايد الاهتمام بالأسرة خلال القرن التاسع عشر وبعده انعكاس على تتنوع الدراسات السوسيولوجية من حيث المداخل النظرية وزاوية الدراسة ووحدة التحليل ومن أهم المداخل النظرية التي تناولت الأسرة كموضوع للدراسة في حقل علم الاجتماع نذكرها فيما يلي :

أهم المداخل النظرية السوسيولوجية في دراسة الأسرة:

4-1-المدخل النظامي :

ظهر هذا الاتجاه في القرن الثامن عشر على يد علماء الأنثروبولوجيا من خلال دراستهم لنظم القرابة في المجتمعات ثم انتقل على حقل علم الاجتماع من خلال دراسة نظام الأسرة في القرن التاسع عشر ويقصد هنا السلوك الذي يتفق عليه أفراد المجتمع وهذا بصفة عامة أما في مجال دراسة الأسرة فيعني الممارسات التي يتفق عليها فيما يخص ضبط عملية الارتباط بين الجنسين في الزواج والأسرة والإنجاب وتنشئة الأجيال

"وعند استخدام علماء الاجتماع للمنهج النظمي في دراسة القرابة فإنهم ينظرون إليها بوصفها أحد النظم القائمة في المجتمع والتي تحقق الإشباع للإفراد والمجتمع فالنظاميون يتعاملون مع المجتمعات كلها موجهين بحقيقة مؤداها أن المجتمعات تمتلك عدة نظم مختلفة يقوم كل منها بوظائف مخصصة من أجل استمرار المجتمع وبقاء أفراده"[[3]](#footnote-4)وأن هذه النظم تقوم على فكرة التضامن فيما بينها فكل نظام يؤثر في بقية النظم الأخرى وفي نفس الوقت يتأثر بهم ويمكن تلخيص أهم المواضيع والاهتمامات التي يركز عليها هذا المدخل في ما يلي :

- الدراسة الوصفية التاريخية المقارنة المقارنة لنظام الأسرة والزواج

- الاعتماد على التعميمات فيما يخص الأسرة في نفس المجتمع أو في مجتمعات مختلف باستعمال المنهج المقارن

- يركز بشكل كبير على التغيرات التي طرأت على وظائف الأسرة التقليدية والحديثة وعوامل التغير مثل التصنيع وخروج المرأة للعمل

- يدرس التغير في الأسرة خاصة والمجتمع بصفة عامة من خلال الدراسة التاريخية لهذا النظام وتتبع التغيرات التي تطرأ عليها .وفي هذا الصدد نجد عدة دراسات مهمة والتي كانت لديها تنبؤات صادقة فيما يخص التغيرات المستقبلية للأسرة مثل دراسة سروكني ومير داك اللذين تنبأ بحدوث تصدع تدريجي في نظام الآسرة ودراسة سيزم الذي توقع استمرار النظام مع تراجع في السلطة الذكورية بالمقابل تدعيم لسلطة الأنثى

وكانت الدراسات في هدا المدخل تعتمد على فروض تطورية وتفسير ثقافي تاريخي للتغير الاجتماعي وما يصاحبه من تغير في نظام الأسرة.

4-2-المدخل البنائي الوظيفي :

"يرى الاتجاه البنائي الو ضيفي أنه لن يمكن فهم أي نسق اجتماعي فهما صحيحا إلا إذا درسناه في علاقته بالأنساق التي تكون البناء الاجتماعي وترتبط فكرة البناء الاجتماعي بمفهوم الوظيفة السوسيولوجية حيث يؤكد أنصار هذا الاتجاه على أن هناك تفاعلا وتساند بين الأنساق المكونة للمجتمع حيث يبرز التحليل الوظيفي واجبات كل نسق منها في المحافظة على تماسك ذلك المجتمع واستمرار وحدته "[[4]](#footnote-5) وعليه فان الاتجاه البنائي الوظيفي يقوم بدراسة الأسرة كبناء كلي يتكون من مجموعة من الأنساق الفرعية التي ترتبط مع بعضها البعض وتستند وظيفيا ،بالإضافة إلى دراسة وظائف تلك الاتساق الفرعية داخل الأسرة .

ويلاحظ أن المهتمين بهذا الاتجاه يفرقون بين وظيفة العلاقات الاجتماعية والهدف منها داخل النسق القرابي فهم يرون أن الوظيفة الاجتماعية لا يدركها إلا الباحث العلمي بينما الهدف الواضح يدركه الأفراد والمجتمع ،فنجد مثلا ان ظاهرة التضامن والتعاون الهدف الظاهر يدرك جميع افراد المجتمع ،أما الوظيفة الاجتماعية التي يدركها الباحثون هي الحفاظ على مركز ومكانة العائلة أو قد تكون لإظهار التفوق الاجتماعي لمكانة العائلة على بقية الأقارب .من أشهر العلماء الذي اعتمدوا هذا الاتجاه في دراستهم للأسرة ونظم القرابة تالكوت بارسونز ورادكليف براون ومالينوفسكي

4-3-المدخل التفاعلي :

ينطلق هذا الاتجاه في دراسة وتحليل العلاقات داخل الأسرة من التفاعل بين أفرادها ،هاته العلاقات التي تميل بدورها إلى التداخل في السلوك أكثر من الاستقرار والتوازن ،ومن هنا ينطلق هذا الاتجاه في دراسة التغير على مستوى الأسرة من العلاقات التفاعلية بين أفرادها بسب عدم استقرار ادوار الإفراد داخل الأسرة والنسق القرابي ككل . ولكي يقوم الفرد بدوره الاجتماعي بنجاح داخل النسق القرابي عليه أن تكون له القدرة على توقع تصرفات الآخرين وردود أفعالهم تجاهه ،لان ذلك يعطيه القدرة على التنبؤ بسلوكاتهم ورد فعلهم "وقد استخدم علماء الاجتماع هذا الاتجاه كثيرا في مجال علم اجتماع الأسرة لان صغر حجم الأسرة قد مكن من إجراء بحوث عديدة متعمقة على عمليات التفاعل داخلها اذ يركز هذا الاتجاه على دراسة التفاعل ليس داخل الأسرة فقط وإنما خارجها ،وهذا من خلال علاقة الأسرة مع الأقرباء من خارج الأسرة وكذلك بعلاقة الأسرة بباقي أنظمة المجتمع ،ومن المفكرين الذي اثروا هذا الاتجاه بتحليلاتهم نجد هيل hill الذي حلل التفاعل داخل الأسرة انطلاقا من عدة متغيرات مثل الاختلاف في السن والجنس واختلاف الحاجات والرغبات ومعدل النمو ،وفي ظل هذا الاختلاف نجل كل عضو داخل الأسرة يصارع من أجل إشباع احتياجاته الأساسية وهنا ينشئ التفاعل داخل الأسرة والمجتمع ككل .وبالإضافة إلى هيل نجد بيرجرس ووالر وروس من اعتمدوا هذا الاتجاه في دراسة الأسرة .

4-4-المدخل التطوري :

لقد استعمل المدخل التطوري بشكل أساسي في الدراسات الانثربولوجية من حيث تطور النظام نظام القرابة والعائلة ’ويقصد علماء الاجتماع بالأسرة في هذا المدخل الأسرة الزواجية التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد ،وهم يرون أفراد الأسرة ينمون ويتطورون بطريقة مختلفة ،بسبب ارتباك هذا التطور بالمحيط الخارجي من ظروف معيشية ومتغيرات اجتماعية وعليه فان التركيز في الدراسات التطورية للأسرة يكون على الأفراد ويرى التطويريون انه يجب أن تجرى الدراسة لكل اسري على حدا لان كل أسرة فريدة من حيث تركيبها العمري والأدوار والتوقعات المتبادلة ومن العلميات التي يدرسها هذا المدخل داخل الأسرة نجد الزواج ، الإنجاب ،الطلاق والاحتفالات حفلات الزواج والختان

5-المدخل الموقفي :

كما هو معروف فان النظرية الموقفية تهتم بالسلوك الإنساني وقد كان منشأ هذه النظرية هو علم النفس ثم انتقلت إلى الحقل السوسيولوجي وقد انصب اهتمام علماء الاجتماع في هذا الاتجاه على ثلاثة محاور أساسية وهي

1-"نمو الطفل داخل الأسرة والمواقف التي تؤثر في هذا النمو وسلوك بعض الأطفال مثل الدراسة التي قام بها (توماس)

2-العمليات التي تحدث داخل الأسرة وفي هذا السياق نجد بوسارد الذي درس العلاقات الأسرية ومن خلال ذلك قسم المواقف إلى :

\*"العلاقات التي تحدث داخل الأسرة مثل العلاقات العاطفية والعلاقات بالموافقة الصريحة او الضمنية حجم الأسرة والتعاون الأسري

\*أنماط أسرية وعوامل خارجية :مثل المكانة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة

3-الأزمات الأسرية وهي المشار إليها في دراسة بولدين وهيل في دراسة البعد بين الزوج والزوجة أثناء الحرب العالمية الثانية"[[5]](#footnote-6)

1. مليحة عوني القصير وصبيح عبد المنعم احمد ،علم اجتماع العائلة ،مطبعة جامعة بغداد ،بغداد 1984 ص16 [↑](#footnote-ref-2)
2. نفس المرجع ،ص16 [↑](#footnote-ref-3)
3. ص59ابراهين بن مبارك الجوير ،ا**لاسرة والمجتمع :دراسات في علم الاجتماع العائلي** ،ط1،دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع 2009 [↑](#footnote-ref-4)
4. صابراهين بن مبارك الجوير،المرجع السابق ص62 [↑](#footnote-ref-5)
5. نفس المرجع ،ص69 [↑](#footnote-ref-6)